تحليل رواية الحرام ليوسف ادريس بالمنهج النفسي

الباحثة يامنة البهجي

المدرسة العليا للأساتذة – جامعة محمد الخامس– الرباط

تقديم

"حتى تتكامل لدينا نظرية عامة في الفن لابد من الربط بين الفنان وفنه.... ولا يمكن أن تكون دراسة الفنان وحده كافية ومن أجل ذلك أخذت بعض الدراسات تتجه إلى الأعمال الإبداعية ذاتها"[1]

إن سبر أغوار النص الأدبي له ارتباط وثيق بالذات المؤلفة التي راق لها تحت نزعات ودوافع فطرية بيولوجية وكذا مكتسبة أن تحتك بالمجتمع، وتجند ذاتها إما دفاعا أو نقدا أو تهكيرا وما جاور ذلك من مواقف وتحديات، وهذا السلوك الإنساني حسب علم النفس قابل للتفسير له مسبباته وشروطه وفق مختلف الاتجاهات والنظريات العامة لعلماء النفس، فالتحليل النفسي للأدب هو تناول نقدي يقوم على مجموعة من الآليات والأدوات التي يعتمد عليها الناقد لفهم العمل الأدب، فهو يستطيع أن ينير جوانبه ولكنه لا يعدو أن يكون معبرا إليه، بتركيز على بعض مسلمات نظرية التحليل النفسي، فالعلاقة بين الأدب والنفس علاقة مثبتة، فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس" وإذا كان بين علم النفس والأدب اشتراك في كثير من القضايا فليس معنى هذا أن علم النفس يستطيع أن يفيد في إنشاء الأدب ولا أظن أحدا من علماء النفس يطمع في أن يجعل الأدب ملحقا بعلم النفس أي أن يكون الأدب هو الصورة الشعبية التي تصاغ فيها حقائق علم النفس؛ بل ربما سبب لهم بعض التعاسة في أن يصبح هكذا لأنهم بذلك يفقدون ميدانا خصبا من التجربة الصادقة التي يتقدم بها إليهم الأديب"[2] وكل عمل أدبي هو وسيلة يعبر المرء من خلالها عن بعض احتياجاته ورغباته بهدف إثبات الذات، أما الأدب فهو شكل تعبيري دافعه تلبية حاجيات الإنسان والتعبير عن عواطفه وأفكاره من خلال نمط إبداعي وهو الكتابة المتجلية في عدة ألوان؛ كالرواية التي تعد جنسا أدبيا نواته الإلهام والتجارب وسلطة الخيال، تحتوي على العديد من الشخصيات لكل منها اختلاجاتها وانفعالاتها الخاصة، وتعالج موضوعات تاريخية واجتماعية وعاطفية تتكون من عناصر مهمة كالحدث، الشخصية، الأسلوب، الحبكة، الحوار "ويمكن اعتبار الملفوظ الروائي مكانا للخطاب المزدوج الواحد دون نمط إخباري

بحيث أن الأول مفهومي والآخر الذي يقتبس من الحكاية إغراءات المتخيل يكون سرديا حصرا أي خطابا سطحيا ظاهريا ومضمونا كاملا أي معنى عميق " [3]

من هو يوسف إدريس "تشيخوف العرب"؟

ظاهرة أدبية فذة شغل حيزا لا يستهان به وسط موجة عارمة من الكتاب والأدباء في عصره، مسرحي وروائي مصري ولد في 19 مايو 1927،وتوفي في 1 أغسطس 1991 ،لأسرة ثرية نسبيا حيث كان والده متخصصا في استصلاح الأراضي؛ مما جعله كثير الترحال والتنقل و أم كما وصفها ذات شخصية عنيدة، انتقل للعيش مع جدة أمه في قرية البيروم محافظة الشرقية، فلم يترف برفاهية والديه وإنما ظل حالما داخل بيت بسيط يفتقر لأبسط التجهيزات، وما أن بلغ سنه 12 حتى انتقل إلى طنطا برفقة أخيه الصغير لإتمام تعليمه الثانوي، وقد كان أديبنا متفوقا في دراسته، وفي سنة 1947 تخرج من كلية الطب، كما تخصص في الطب النفسي سنة 1951 وفي سنة 1960 انسحب من الطب و عين محررا بجريدة الجمهورية، وما فتئ أن جرفته موجة النشاط السياسي والنضال حيث انضم إلى المناضلين الجزائريين سنه 1961 وحارب معهم ستة أشهر فأهدوه وساما إعرابا عن تقديرهم لجهوده في سبيلهم، ثم ثار ضد النظام و السلطة والذي كان سببا في سجنه على مدار خمسه أشهر من حياته؛ حيث توقف عن الدراسة لمدة سنة كاملة ولكن هذا لم يزده إلا إصرارا وعلوا في النقد والهجوم ليصير فيما بعد أمير القصة القصيرة دون منازع، حصل على وسام الجمهورية سنه 1963 ككاتب من أهم كتاب عصره و وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى 1980،كما كان مرشحا لنيل جائزة نوبل، من مؤلفاته: أرخص ليالي، العسكري الأسود، الفرافير، الإرادة....[4].

ملخص الراوية

روايتنا بطلتها عزيزة سيدة ريفية متزوجة وأم لطفلين تنتمي لما يسمى بالغرابوة، فئة مهمشة ضحية للظلم الاجتماعي والفقر قوتهم مرتبط بما يوفره لهم العمل عند أهل التفتيش في العزبة، استأنف الكاتب سرد أحداثه بالعثور على طفل رضيع مخنوق بجانب الترعة قرب شجرة الصفصاف، وتتفرع عن ذلك أحداث وحيثيات مهمة صورها داخل إطار سردي متقطع ينتقل فيه بين أركان وشخصيات الحكاية، تمثل فيها عزيزة رمز المرأة الفقيرة والمكافحة التي فتحت عينيها بين أحضان الفقر والتعاسة التسلسلية فمن شابة تنعم بالحرية والحياة إلى زواج يعقبه معاناة؛ إذ لم تطل فرحتها حتى وجدت نفسها تكفل زوجا مريضا وبعد أن كان عبد الله منبع الحياة

والسعادة صار سببا في تجرعها لمرارة الاعتداء والاغتصاب في سبيل تحقيق شهوته في حبة بطاطا، وخوفا من الفضيحة تخبطت عزيزة بين عذابين إخفاء حملها في الحرام والتسبب بموت ثمرة ذلك الحرام في لحظة هوان ومحاولة إخفاء للفضيحة، وتنتهي القصة بموتها بعد فترة من الصمت و والهلاوس، بيد أن الكاتب لم تكن عزيزة هي محوره الأساسي في القصة حيث ركز على تصوير فئتين طبقتين إحداهما تمثل الكيان المذلول المهضوم الحقوق والأخرى تمثل الطبقة المستعبدة والمعصومة من الخطأ والمحاطة بزي شفاف عمد مؤلفنا إلى إزالته وكشف ما وراءه من حقائق وعلاقات مشبوهة عنوانها الجنس والفساد.

1/سيميائية العنوان

إن أول ما يلفت انتباه القارئ لأي عمل أدبي هو العنوان لكونه أول شيء يقرأ، ويمكن أن يحكم من خلاله على المضمون ككل لذا يجدر بنا قبل دراسة محتوى الرواية وأبعادها النفسية اكتشاف دلالة العنوان.

مفهوم الحرام

لغة: الممنوع من فعله حرم حرمانا منعه إياه، حرُم الشيء حرمه امتنع والصلاة امتنع فعلها[5]

والحرام ما حرم الله ومحارم الليل مخاوفه يقول تعالى في كتابه العزيز" ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله" سورة النحل الآية:116

ويدخل هنا كل من ابتدع بدعة ليس لها مستند شرعي بتحليل مباح أو تحريم الممنوع.

اصطلاحا: هو" الأمر الذي نهى الشارع عن فعله نهيا جازما بحيث يتعرض من خالف النهي لعقوبة الله في الآخرة وضده الحلال وهو المباح الذي انحلت عنده عقدة الحظر وأذن الشرع في فعله"[6] ا والفعل إذا كان منشأ المفسدة الخالصة أو الراجحة فهو المحرم[7]

فالحرام هو مقياس يحدد للفرد ما يمنع من المجاوزات؛ فمن يحمل فكرا به خلق لا بد و أن يعي ما حرم على النفس وما حلل ومن هذا المنطلق يمكن أن نيسر بناء مجتمع أسسه مبنية على ما يرضي الله والنفس، فالحرام هو الممنوع والمرفوض من قبل الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الرواية ارتكز على الناحيتين الدينية والاجتماعية، حيث صوره يوسف ادريس داخل قالب متداخل مع الخطيئة لإقامة نوع من المقابلة بين الرغبة

والعمد وعدمهما وبين نفس تعرضت له مرغمة عليه في صورة علاقة غير مشروعة فاقترن بالفضيحة وبين نفوس سلكته بطيب خاطر فصار متعارفا عليه.

وانطلاقا من العنوان يمكن طرح العديد من الاستفسارات تتجلى كما يلي:

كيف تجلت ماهية الحرام في الرواية؟ وهل ما قامت به شخصيات الرواية يندرج فعلا ضمن هذا الإطار؟

وكيف نسج المؤلف خيوط تسلل الخطيئة إلى الضمير لتخلق فوبيا الحرام؟

هل أسقط يوسف ادريس رغباته المكبوتة على شخصيات الرواية؟

هل أحداث الرواية هي بعث للاشعور المؤلف أم أنها تجسيد كامل للوعي؟

لم تخل الرواية من اكتسابها للطابع النفسي بما فيها من جدليات وبعد درامي وإحالات رمزية وظفها المؤلف كتحايل نفسي عميق الدلالة، لتجسيد الواقع وفلسفة الحياة في المجتمع العربي عامة والمصري الريفي خاصة ورصد أعماق الجنس البشري باختلاف ظروفه وحياته.

2/تحليل الآليات الدفاعية في الإبداع:

أ/الهـــــــــــــــــــــــــــو:

الجزء الذي يتحرر من القيم والتقاليد ورقابه الأنا الأعلى، ويضم الرغبات المكبوتة وأهمها رغبة الجنس، يسميه فرويد منطقة اللاوعي، هذه الرغبات التي تم إقصائها من منطقة الوعي بتدخل من الأنا الأعلى لكونها غير منسجمة مع القيم السائدة، وهي سلوكات يتدخل في تقويمها العقل والإرادة والذكاء بتعديل؛ حتى تتلاءم مع الوسط الذي نعيش فيه، بحيث يريد تلبيه حاجياته وطلباته فورا دون اعتبارات لأي شيء اسمه عيب أو حرام، يحكمه مبدأ واحد هو البحث عن المتعة والابتعاد عن الألم ،وصرح الرواية التي بين أيدينا قوامه اختراق المألوف والغوص داخل النفوس والمجتمع العربي برمته؛ حيث باحت بشكل من الأشكال عن وقائع وأحداث حملت صفة المستور داخل قرية صغيرة بين طبقتين: الميسورة والكادحة، فاستساغ المؤلف لنفسه الفرصة لفضح الخبايا، متوغلا بين البيوت والشخصيات وداخل النفوس وفضح المسكوت عنه من زنا محرم ومكبوتات و وعلاقات غير مشروعة وجهل وضغائن وأحقاد، إنها نفسيات مهزومة عديمة المبادئ والقيم لا يجمعها سوى العيش في عزبة وصمت لنفسها سمة الاستقامة والسمو فيما طعنت به فئة الترحيلة الذين وان كان الفقر عنوانهم والتهميش

أساسهم إلا أن قيمهم ثابتة ومعدنهم أصيل ولا تسود بينهم فاحشة أو منكر كما وصف به أهل التفتيش؛ حتى بعد اكتشافهم لأم اللقيط- فقد أبوا إلا أن يكون الستر شعارهم وتكفلوا بها رغم ضيق حالهم دون أن تكون لهم نوايا سيئة – حتى و إن مثلت هي بدورها مظهرا من مظاهر الرغبة الجنسية المكبوتة التي طفت للسطح بعد مكابدة ونتيجة ظروف مستعصية.

في حين مثل أهل العزبة الوجه الشاذ للهو والمتجلي في الكبت الجنسي، فنلحظه مع أحمد سلطان الشاب المولوع بالجنس والليالي الحمراء مع نساء متزوجات وفتيات عازبات ليست لديه حدود ومبادئ أو قوانين ما يهمه هو تحقيق المتعة ولا يقبل الرفض أو عدم الخضوع؛ فبالنسبة له هو شخص كامل لا يمكن صده "فما صمم على أن ينال شيئا إلا ناله"[8] انه دونجوان العزبة بلا منازع، استطاع إخضاع معظم نسائها وقد يكون هذا الحافز الجنسي لديه دافعه هو إخضاع غير مباشر لأهل العزبة برجالها وسيداتها فحتى لو كان عاملا بسيطا، فهو في الجنس والحرام بارع ومتفوق؛ انه زير النساء في روايتنا يحمل كبتا جنسيا و نزوات مغزاها إثبات الذات دون تمييز بين العرف والدين الذي يحرم الزنا،كما أن ميولاته الجنسية هدف تعنون في الرواية بالغدر والخيانة والغيرة، فتكون بذلك الدوافع الجنسية ذات أبعاد نفسية كيدية داخلية وهنا يمكن أن نتحدث عن الإخفاء؛'وقد استخدمه فرويد في نظريته إثارة للعمليات العقلية التي تنشط لحماية الكيان من الأفكار والاندفاعات والذكريات التي يمكن أن ينتج عنها القلق والخوف وحتى الشعور بالذنب ويترجم على شكل تخيلات وأحلام يقظة' فنلحظ زخما داخل روايتنا؛فمع عزيزة التي تخلت عن إحساسها وقيمتها كأنثى واختارت لنفسها عنوان الصمت والتضحية سيراودها هذا الإحساس في فترة تعرضها للاغتصاب،حتى وان استمال الكاتب في تعبيره محاولا زعزعتنا من خلال سرده إلى أنه رغبة وليس رغما عنها على اعتبار أن عزيزة كان يمكن أن تفلت دون صراخ ومقاومة فاضحة،ولكنها استسلمت في لحظة شهوة وضعف لما افتقدته من إشباع لرغباتها الجنسية "بل ليست تدري على وجه الدقة سر هذا الانهيار الذي أصابها حين أصبحت في حضنه تريد أن تقاوم ولا تستطيع تستميت.... وهذه المرة كان يمكن أن تقوم وتجري وتضربه لم تفعل سكتت وظلت تئن أنين المظلوم الذي لا يخلي نفسه من مسؤولية ظلمه"[9]

وفي نفس الإطار نجد زوجه إبراهيم الفقيه التي مثلت دور وسيطة الدعارة في الرواية،ولكن الغريب في الأمر أنها لم تكن للعامة وإنما دفعتها رغباتها المكبوتة والمنحازة لأحمد سلطان بأن تضحي بمبادئها كامرأة متزوجة من رجل دين إلى بيع شرف زوجها أولا ثم بيع كرامتها ثانيا، فلم تتوان لحظة عن الإيقاع بكل من اشتهت نفس احمد سلطان"سلم عليها احمد سلطان بحرارة وقرصها في بطنها كعادته في الأيام الغابرة... عايزك في

حاجة.... أؤمر....لندة"[10] فشكل الهو هنا سلاحا مؤذيا للذات وللآخر،وفي الضفة الأخرى نجد زوجة محجوب ساعي البريد والتي جسدت عنوان الفساد الأخلاقي ولكن بطابع سري انتهازي جعلها تحاول استغفال زوجها لكونه كان أميا، لم تكن هناك في الرواية أي إشارة واضحة إلى علاقة جسدية بينها وبين عشيقها ولكن من العنوان يقرأ المحتوى؛فمن سولت لها نفسها كتابة رسالة لغير زوجها ستسول لها نفسها تفريغ مكبوتاتها الجنسية في أحضان نفس الرجل.

أما صفوت فهو الشخصية المكبوتة العواطف والمشاعر المذعنة الخائفة التي تجسد بشكل واضح عقدة الكبت والتي تنشط في اللاوعي؛ حيث يعرف تضاربا بين أحاسيسه ويعيشها في أحلام اليقظة دون البوح بها" وبعد الحديث هاجت في قلبه الأحاسيس و تملكه خاطر عات يهيب به أن الأوان قد آن ليبوح للندة بكل ما يكنه لها قلبه ويكشف عن أحاسيسه وفكر واستغرق يومين في التفكير"[11]

ب/جدلية الأنا والآخر

الأنا الجزء الظاهر من شخصية الإنسان يسميه فرويد 'منطقه الوعي'يقع عليه العبء في الموازنة بين الهو و الأنا الأعلى بعد أن أخذ بعين الاعتبار محظورات الأنا العليا والقيام بسلوك ما حسب البنية المحيطة بالشخص،"وإذا كانت الأنا الأعلى تدرج عناصر خاصة في كل تنظيم ثقافي فان اشتغالها يتعلق بميكانيكية ثابتة فال'هذا' يأتي مكونا من غرائز ثابتة مثل ما الأساس الفيزيولوجي بالنسبة للأنا،فهي تتصرف وتحمي نفسها بطاقة دائمة ومستقلة عن الوسائل العلمية التي تستعين بها قصد التموضع إزاء الواقع"[12] "

إن كل ذات بشرية تختلجها نوازع داخلية ترميها ودون سابق إنذار في صراع مع الضوابط و القوانين المجتمعية، فإما أن يكون صراعا داخليا تتكبده النفس في صمت وإما أن يكون معلنا في صيغة تحد؛ فنكون هنا أمام حكم الخرق وتمثل الجزء الأول هنا عزيزة التي دخلت في جدل مع متاهات المثل العليا والعادات بل والشرع والتي تحرم دخول المتزوجة في علاقة جنسية مع رجل غير زوجها،فكيف بالحمل بطفل سفاح،قد تكون عزيزة ضحية مجتمع فاسد وظالم ولكن قد تكون أيضا ضحية نوازع نفسها وحرمانها العاطفي بعد مرض زوجها و أيا ما تكن التبريرات فان الواقع أوحد؛ حيث دخلت عزيزة في مواجهة نفسية داخلية مع المجتمع والأعراف فعاشت منذ تعرضها للاغتصاب وطيلة مدة حملها صراعات تتجاذبها بين فضيحة تنتظرها وبين عبء زوج وأولاد وبين مسؤولية الخروج لجلب لقمة العيش، فقد دارت في نفس عزيزة حرب سرية لم تتمكن من الخلاص والتحرر

فيها من قيود الآخر فصارت كشيء بالنسبة له في حين عجزت عن بلوغ الشيئية لذاتها ثم انتقلت إلى الواقع المزري وهو الفضيحة التي لم تعها بسبب دخولها في غيبوبة وإصابتها بالحمى،وكأن جزءا من هواجسها النفسية تحقق فلم تخضع للمساءلة في العزبة فالعار في نفسها أقل وطرا ممن تعرفهم ولكنها كانت مغيبة الإدراك ،كما لم تخضع للمساءلة من قبل مجتمعها (الأنا العليا) –الزوج والقبيلة (الآخر) "ولكن القتل عندها أهون من أن يعرف عبد الله ويعرف الناس"[13] وفي ظل هذا الزخم لم تفلت عزيزة من الأنا الأعلى ألا وهو ضميرها الذي لم يتوان لحظة عن تعميق إحساسها بالذنب والخطيئة"كانت تراودها ذكرى ما حدث و تشيح بوجهها وتلعن نفسها"[14] في حين تمثل لندا مظهر التمرد على المجتمع وأعرافه حيث اندفعت اتجاه احمد سلطان دون مراعاة لأي ضوابط أو تبعات ودون تفكير مسبق في نتائج هروبها من العزبة وزواجها دون إذن أبويها، لقد تحللت ليندا من كل الضوابط والالتزامات نحو مصير مجهول .

أنماط الشخصيات 3/الأنا وتقاطع

لا شك أن مصطلح الأنا يرتبط بالشخصية ارتباطا وثيقا إن لم نقل أنهما وجهان لعملة واحدة، فكل شخصية تحوي ذاتا ناضجة تسمى الأنا يقول روجرز" الشخصية هي الكيان الموضوعي المنظم المستقر نسبيا الذي يمكن إدراكه والذي يعد قلب الخبرة"[15] في حين يعرفها ويستن" بأنها أنماط دائمة من الأفكار والمشاعر والسلوكات التي يعبر عنها في ظروف مختلفة"[16] فكل شخصية أساسها أنا ظاهر يقع عليه العبء في الموازنة بين الهو و الأنا الأعلى بعد أن اخذ بعين الاعتبار محظورات الأنا العليا والقيام بسلوك يتوافق مع القيم السائدة للحفاظ على وجود النفس الاجتماعي.

المأمور: الشخصية القلقة والوسواسية متسلطة فهو دائما على استعداد بسبب توقعاته لما يمكن أن يقع فيه من أخطاء وأخطار؛ نجده دائم التأهب للمواجهة،فنلحظ أعراضا نفسية تتراوح بين الشدة والاعتدال والوسطية والتوتر مما يسبب اعتلالا في المزاج بشكل واضح وجلي، وهذا مرده إلى إسرافه في العمل وعدم الثقة في تسيير الآخرين للعزبة، دائم المحاسبة للنفس بشكل مستمر سعيا منه إلى الكمال والحفاظ على مكانته الاجتماعية في إطار صلب ثابت على المواقف،كما نجد أن مظهر المأمور القاسي والممثل للأب المعياري الذي يعتبر القانون والعمل شعاره – خوفا من سلطات أعلى– في لحظة كشفنا أن له أخلاقا وعواطف تنساب دون سابق إنذار بعد اكتشافه لأم اللقيط حيث ترك لها مصروفها اليومي وحرص على الاعتناء بها حية وحتى بعد موتها كلف نفسه عناء وضع مصيره في كفة ونقل جثمان عزيزة إلى قريتها في كفة أخرى، وهنا يوحي لنا المؤلف أنا كل

ذات مهما استقوت وظلمت أو أبانت عن شدة وقسوة فإنها كائن حي له عواطف ومحفزات داخلية قد تطفو إلى السطح مع أول حدث مؤلم يواجهه، وقد تبقى غريسة الذات تخالجها في لحظات العزلة والصمت.

مسيحة أفندي: الشخصية الشكاكة شديدة الانفعال والتأثر دائمة الريبة وقليلة الظن حتى في أقرب الناس إليه؛ مما سبب له متاعب نفسية وزاد توجسه في ابنته ليندا إلى أن كاد يصاب بهلاوس داخلية نتيجة أفكار عرضية ليس لها أي أساس مؤكد سوى أنها افتراضات نسجها خياله،حفزت مركز الشعور بالقلق، مسيحة أفندي يعتبر اليد اليمنى للمأمور تكبد مشقه القلق في مرحلة من مراحل السرد قبل العثور على أم اللقيط الميت، فقد أثارت الشكوك نفسه وتصارعت أفكاره بين ابنته التي كانت حياتها معلنة للناس كافة وبينما وراء تلك الحياة؛بين النور والظلام بين المفضوح والمستور بين الشرف والعفة وبين انعدامهما في لحظة ضعف"لابد أن تكون هي لابد أن تكون هي التي ارتكبت جريمة الصباح ...كأنثى داعرة"[17] وارتياب مسيحة في ليندا هو انعكاس واضح للتضارب الذي يحدثه القلق في النفوس البشرية؛ فيصير القلق عديم التمييز والثقة بنفسه وبالآخرين وحتى في الواقع والحقائق المنطقية

عزيزة: شخصية تعكس الشعور بالنقص والضعف لم تستطع توفير القدر الكافي من الاستجابات الضرورية في مجال العاطفة والحركة التفاعلية في العلاقات الاجتماعية، وشكل هذا عائقا طبعها بسمة العجز والخضوع في التعامل مع الآخرين؛إنها شخصية تفتقر إلى تقدير ذاتها وان تكن حالة عزيزة لا تمثلها إلا بنسبة ضئيلة؛ لكونها ضحية تكالب عليها الفقر وقلة الحيلة ورغم ذلك ظل الشعور بالذنب دائما يراودها رغم أنها لم تكن لها علاقة بالخطأ الذي تكبدت مشقته،عاشت عزيزة رحلة القلق منذ أول ليلة زواج فرهان العيش مع رجل لا يحتكم على شيء مغامرة عواقبها واضحة المعالم"كان يعمل باليومية يوم فيه وعشرة مفيش وعماده كله على الترحيلة"[18] لم تكن عزيزة واعية بما انتابها خلال مشوارها في الرواية حتى ما تعرضت له من معاناة بالنسبة لها هو واجب، ولم تكن تتألم لحالها وإنما لحال زوجها حتى صارت متعايشة مع حاجز نفسي وواقع لا ملاذ منه؛خاضعة مستسلمة بإرادتها مرتاحة فيما تبذله من التعب والعناء لإعالة زوج معدوم وأطفال محرومين، ولكن ستعيش عزيزة الإحساس القاسي للقلق بعد حملها بطفل سفاح من علاقة غير شرعية،فرغم كونها ضحية اغتصاب وتسلط إلا أنها لم تكن قادرة على البوح بما تعرضت له، واكتفت بالتعايش المضمر مع هذه الحادثة التي ما فتئت تكبر مع كبر بطنها وتزايد إحساسها بقرب الفضيحة والخوف من ردة الفعل القاسية لأهل القرية وزوجها "أفضع ما في الأمر كان عبد الله.. عبد الله لم يقربها من عمر ابنتها زبيدة والناس تعلم هذا فماذا يقول؟ وماذا يقول الناس؟"[19]

ليندا: شخصية متقلبة بين حالتي الحركية والاكتئاب بل وبين حين انه نمط لشخصية لم تستقر على حال واحد،و لم تستطع أن تخلق توازنا وجدانيا؛فظلت متذبذبة في أحاسيسها حتى سقطت في شباك احمد سلطان،فصارت شخصية اتكالية تفتقر إلى الثقة في تحديد مصيرها متعلقة بالآخر؛لكونها تبعت الطريق الذي رسمته لها أم إبراهيم،فتوهمت بذلك أنها تحب احمد سلطان بعدما كانت العزبة كلها تتداول علاقتها بصفوة؛إنها شخصية منهارة تبحث عن الاحتضان والحب،وهذا طبيعي فهي ابنة البشكاتب المدللة التي لم تواجه ضغوط الحياة وأزماتها.

أما صفوت: فهو الشخصية التي كانت دائمة الانعزال والوحدة مع وجوده في حالة تأمل،كان الواقع عقبة وحاجزا نفسيا يصعب اجتيازه فيميل إلى الخيال أكثر من الواقع الحقيقي؛إنها ذات متوجسة لها حساسية مفرطة نحو الرفض والنقد وعدم الرغبة في الدخول في أي علاقة —خاصة حبه لليندا- إلا بعد الحصول على ضمانات شديدة بالقبول الغير مشروط، فظل يحلل ويضع الافتراضات إلى أن انتهز احمد سلطان الفرصة واختطف منه حب حياته فخرج خاوي الوفاض.

4/المد الأسود للطين حكمة الجنون ومقشة الضعفاء

إن الجنون خبرة إنسانية شديدة الخطورة فما يراه المجنون قد يتراوح بين الصدق والعبث، إنه انعكاس لفشل وانهيار حياتي بيد أننا قد نكون أمام نفس بشرية لا تتحمل توابع صدق قولها أو كذبها اللامقصود،إنها حكمة الجنون النابعة من كينونات عمقها صراع وألم ورؤية متجذرة للحياة أتعبت كاهله؛فجعلته يتخبط بين زوايا اضطرابات نفسية وعصبية من جهة وواقع اجتماعي من جهة أخرى ،ويتجلى هذا في شخصية دميان الذي يندرج حسب اعتقادات اليونان القديمه ضمن" الأبرياء الذين مسهم الشيطان بضر"[20]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا إذا كان دميان مجنونا عقله مفقود فكيف صار خطابه مقنعا؟

إن الجنون في الرواية لم يجسد كمرض عقلي فقط بل أول إلى حقائق وترجم على شكل اعتقادات وحكم،فلا يمكن حصر غرائز النفس البشرية في الجنس وغيره من المكبوتات فقط،فهناك أشياء تميل إليها النفس وتتخذها كعادات مثل قراءة المستقبل وهو إحدى أشكال الشعوذة تتوخى من خلاله معرفة جزء من المجهول طمعا في الحصول على أمل لاستمرار الحياة وأحيانا تميل إلى التسلية وحب الاستطلاع لا أكثر،وفي رواية الحرام كانت متعة نسائها خاصة زوجة المأمور في استدعاء دميان وهو أخ مسيحة أفندي والذي يمثل الذات المختلة

والمجنونة،شكلت شخصيتها المعدومة التمييز والإدراك شماعة تمضي بها نساء أهل التفتيش أوقات فراغها؛حيث أول الخلل العقلي على أنه كشف عن الحجاب،وبالتالي فهو يقرأ الفنجان ويلجأ إليه كل من استعصى عليه التمييز بين المقبول والمرفوض؛فصار الجنون حكمة النفوس الضعيفة المتمردة التي تلجأ إلى سلوكات شبه عشوائية من أجل التقليل من القلق الداخلي لضغوطات الحياة والفراغ،إنها حالة نفسية مؤلمة داخل دوامة من التوقعات الغيبية تلجأ إلى مثل هذه التصرفات كعقاقير مخدرة لتجاوز آلام الحاضر والتغلب على قلق المستقبل،فزوجة المأمور ربما لكونها لم تحظ بفرصة الإفصاح عن مكنوناتها بكل حرية أمام سلطوية زوجها،صنع منها زوجة خاضعة وهنة تعوض نقصها و تحقق ذاتها ووجودها ولذتها في جلسات الفنجان المقلوب،إلى جانب الباشكاتب الذي يعاني من الارتياب وعدم الثقة وهي ترسبات راجعة لعوامل لا شعورية مرتبطة بمرحلة من مراحل الحياة،راسخة في الذهن تحفز هذه الذوات وتبعث فيها الاطمئنان و الإيمان بتبصر دميان.

5/رواية الحرام بين المقاربة الاجتماعية والعقد النفسية

يمكن القول بأن كلا من علم النفس وعلم الاجتماع يهتم بدراسة السلوك الإنساني الذي ينتج عن عيش الإنسان في بيئة اجتماعية تخضعه لمعايير معينة؛فيتداخلان من حيث الاهتمام بالشخصية وأبعادها،فدراستنا للظواهر الاجتماعية تركز على دراسة السلوك الفعلي وبناء الذات من خلال المواقف الاجتماعية التي تؤدي إلى أنماط معينة من السلوك،هذه الأخيرة لا تخلو من أن تكون عقد نفسية نابعة من خبرات ومشاعر تحمل انفعالات نفسية مختزنة في العقل الباطن ناتجة عن ضغوط في المواقف الصعبة تطبع أثرها على مواقف وسلوكات الحياة، وتضم روايتنا في كنفها بعضا من هذه العقد النفسية التي تعتبر عائقا" إلا أن النبوغ الشعبي استخدم الكلمة في معنى خاص وهو العائق خلال التنفيذ المباشر للعمل أو الضائقة النفسية أو كبت السلوك المتكيف عادة مع الأسباب الذاتية وغير الإرادية"[21] لتكون العقد" ذكريات من الماضي أو نوع من التمثيلات البيانية المشحونة بالانفعال غير الواعي"[22]

أ/أهل التفتيش وعقدة الإله:

عقدة الإله اعتقاد راسخ يجعل صاحبه يشعر بتوفره على قدرات وامتيازات عالية وكذا العصمة؛مما يدفعه إلى رفض الاعتراف باحتمالية كونه مخطئا أو فاشلا وهذا الاضطراب في الشخصية لا يمت للجانب الديني بأي صلة ؛كما أنها ليست حالة مرضية مئة بالمئة ولكنها تحمل هذا العرض لكون صاحبها على قناعات لا يمكن

تغييرها ولو بالدليل القاطع وإن كان خاطئا، فنقول بأنه شخص متعصب لآرائه،فهي خداع نفسي تسبب خللا في الشخصية التي تتوهم الكمال وتعتبر نفسها فوق الجميع،ويجسد أهل العزبة جانبا من هذه العقدة سواء في صورتها الكاملة بمجموع أفرادها – الذين استحلوا لأنفسهم أن يعاملوا الترحيلة بدونية واحتقار ويعتبروهم أقل منهم،فبالعثور على الطفل اللقيط ميتا أشهرت كل أصابع الاتهام لنساء الترحيلة بصفة يطبعها اليقين مع تشكيك ضئيل في نساء التفتيش– أو في صورة المسؤول عن تسييرها وهو المأمور'هو مالك هذا الملك كله والآمر الناهي فيه'؛الذي لم يتردد للحظة عن الريبة في نفس الاتجاه وبنفس العقيدة"هو على يقين قاطع أن الفاعلة منهم يقينه بيوم القيامة والنفس اللوامة ولكن هناك احتمالا واهيا بسيطا أن تكون الفاعلة من العزبة...احتمال تافه ولكنه احتمال والسلام عليه أن يناقشه"،فيكون بذلك أهل العزبة تجليا لهذه العقدة في مظهر من مظاهرها ألا هو 'العصمة' فبالنسبة لهم هم معصومون من الوقوع في مثل هذه الأخطاء، لذلك ودون سابق إنذار كان هذا تمهيدا من المؤلف للخوض في فضح الخبايا والمستور داخل أركان هذه العزبة، حتى وان ثبت أن أم اللقيط الميت هي من أهل الترحيلة ولكن بالمقابل لا يوجد منزه عن الخطأ ولا معذور من الوقوع في الخطيئة بل وربما أن من أوهمته نفسه بأنه مترفع وواثق من نفسه هو في الحقيقة أشد بلاء وابتلاء.

ب/الترحيلة والشعور بالدونية:

تتجلى مظاهر هذه العقدة في الشعور بالنقص أو العجز العضوي أو النفسي أو الاجتماعي بطريقة مؤثرة على السلوك قد تدفع في بعض الحالات إلى محاولة التجاوز بتحقيق الذات للكينونة أو إلى التعصب والجريمة يقول ادلر" من مشاعر النقص في وجه أو آخر إنما هي عامة شائعة في كل واحد منا نحن البشر ما دمنا جميعا نجد أنفسنا دوما في مواقف نتوق إلى تحسينها وتطويرها "[23]

فتتجلى عقدة النقص في "التأكيد الصادق بأن الشخص ليس على المستوى المطلوب غير كفء وبأنه محكوم عليه هكذا وبأنه شخص يهزأ منه أوأنه مجال للسخرية"[24] وهذا بيت القصيد فقد كان أهل الترحيلة يعانون من الدونية والتهميش اجتماعيا بحكم الظروف القاهرة التي كانوا يعيشونها في تلك الحقبة ونفسيا من خلال معاملة أهل التفتيش لهم ونظرتهم إليهم التي لا تخلو من الاشمئزاز والتحقير،حتى صار التعبير عن النقص ظاهرا على سلوكهم وهيئتهم العامة بما فيها لباسهم "وكأنما هم معترفون أنهم غرابوة وأنهم ترحيلة وأنهم أي شيء قد يخطر على بال إنسان"[25]

ج/التسلط والتعصب الذكوري عقدة مادونية

إن شخصية المأمور المتسلطة نوعا ما في العزبة والتي تميل إلى تشبهها 'بالاه الخصب' في نظر الترحيلة بعد كل زيارة يقوم بها لهم يضمنون لقمة عيش مؤقتة تجزيهم عن بضع أيام من الجوع والحاجة" يسيرون أمامه وخلفه وعلى جانبه ويرمقونه في تدلل وأمل إذ جاء الأمل في العمل، يخرجون من جحورهم ويتعانقون أمام البيت ويتصايحون جاء الفرج يا أولاد والأشيا حتبقى معدن"[26]

مثلت السلطة منذ البداية والقوة داخل العزبة وحتى داخل منزلها،إذ بعد العثور على اللقيط اتهم الفاعلة بالزنا وأنها هي المسؤول الأول والأخير، فبالنسبة لشخصية المأمور النساء هن المسؤولات عن أي خطأ يقع ربما هذا ما يفسر طبيعة علاقته بزوجته التي لم تكن سوى شبيهة الخادمة لا يحق لها الاعتراض أو الاسترسال في الكلام دون إذن،فهل يمكن أن تمثل شخصية المأمور جانبا صغيرا من عقدة مادونا والعاهرة؟ والتي ترى النساء على أنهن إما أمهات طاهرات أو عاهرات لكونه في لحظة من اللحظات نظر لعزيزة على أنها عاهرة فاسقة " كيف تكون فاعلة ذلك الحرام ؟أو على وجه الدقة كيف تكون الزانية.... وكأنما من أخطأن معه لسن زانيات.... الزانيات هن من يخطئن مع غيره"[27].

دراسة شخصيه المبدع 6/

أ/سيكولوجية الشخصية:

مادام الإبداع مرتبطا بخلق جديد وصياغة متفردة عما سبقها في إطار إنتاج محفز،لابد وأن تكون شجعته خبرات وخلفيات ساهمت بشكل من الأشكال في تجلي الموهبة الإبداعية فضلا عن الجدة والإرادة المتحمسة.

فشخصية يوسف ادريس المبدعة كانت مخاض تداعيات ظروف طفولية قاسية نوعا ما عاشها في فترة كان من المفروض أن تحتضنه خلالها الأسرة ويتشبع بحنان الأبوين وحضنهما،ولكن للأسف لم يكن ادريس سوى ثمرة أسرة ربها تكالبت عليه المسؤوليات مما جعله الغائب من غير حضور في أسفار وتنقلات دائمة وأم على حد ما وصفها مبدعنا بكونها شخصية مستبدة في منحه إحساس الأمومة بل وانه بسبب جسدها المعتل لم يرضع حليبا من ثدييها،وفي سن صغير جدا انتقل ادريس للعيش مع جدة أمه فتحولت حياته من الثراء والراحة إلى مستوى أدنى، ليتلقى صفعة أخرى في طفولته إضافة إلى معاناته في التنقل من البيت إلى المدرسة بسبب طول

المسافة،وبعد بلوغه 12 سنة (مرحلة الكمون) سينتقل يوسف ادريس إلى العيش بعيدا عن قريته التي ولد فيها وسيتحمل مسؤولية مضاعفة؛بحيث ستوكل له مهمة الاهتمام بأخيه الأصغر وهو لا يكاد يقارب إطلالته على سن حرج ولكن هذا لم يثن مؤلفنا عن تحقيق ذاته ووجوده،فطفولته لم تكن عادية وإنما حملت معها معاناة و وحرمانا لم يزده إلا إصرارا وعزيمة وقد تأثرت نفسيته و شخصيته بهذه العوامل التي ما فتئت تظهر على ميولاته وفي كتاباته،فهو الطالب الناجح المتمرد على النظام السياسي وقياده والأديب الذي رفع شعار التحليل النفسي للمجتمع المصري بمختلف عيناته و بتفاوت أعماره وطبقاته،فنصب نفسه كمحلل للواقع الرمزي للأزمة الداخلية للإنسان داخل عالم مسموم يبحث فيه عن سبل تجاوز مخاوفه الوجودية وآلامها.

ب/يوسف ادريس والتنشئة الاجتماعية

مما لاشك فيه أن الجذور والأصول التي ينتمي إليها مؤلفنا وكذا الفترة الزمنية التي عايشها انعكست من خلال كتابته،فهو ابن محافظة الشرقاوية بقرية البيروم منطقة عانت التهميش وأبشع مظاهر الإقصاء والفقر،وعاش فترة دقيقة وحيوية من تاريخ مصر فيها العديد من التناقضات – النكسة وهزائمها ثم النصر1973– فانفتح على كل التخبطات البنيوية ثقافية و نفسية واجتماعية؛ساهمت بشكل كبير في صنع صرح أدبي قوي متمرد لا يخضع لأي سلطة أو نفوذ، لقد عول ادريس على نفسه منذ طفولته فكان أبا لذاته وسندا لعواطفه الطفولية وخلق من وحدته حافزا لتحقيق الأصعب والوصول إلى التميز،فبقي العرق الريفي ينبض في خلاياه وانعكس على شخصيته الفذة،فكان الإنسان الذي لم يخفه القمع العسكري ولا السجن ولا حتى الرفد من العمل أو حتى مواجهة الموت "إذا كان علي أن أفعل لأحصل على هذا أن أمر في نفق الموت فسأمر...الحياة للشجاع"[28]

فشكل بذلك كل ما نحسبه معوقات قوة ومحركا للصمود والتحدي في نفسيته .

ج/الأنا المثقفة الواعية

وجد يوسف ادريس مأواه الحقيقي في الدراسة والتحصيل،تأهبت نفسه منذ الطفولة للتحدي وصممت على إحراز التفوق رغم ضغط الظروف وصعوبتها،وقد انعكس الفكر الثقافي على كتاباته؛حيث خلقت منه الظروف مثقفا إشكاليا واقعيا بوصف دقيق داخلي يعكس الشعور والتفكير وخارجي مرتبط بالصفات الظاهرة كالملامح والهندام.. ويمكن القول أن شخصيات الرواية هي شخصيات ناطقة باسم مؤلفها عاكسة بشكل ضمني

لحقائق عاشها ولمعتقدات ترسخت في ذهنه،فشاركنا شخصيات بأفكار ومشاعر مزدوجة المبنى والمعنى،يقول كارل ماركس "إننا ننطلق من النشاط المادي للبشر لنتبين من خلال صيرورة وجودهم الفعلي نشوء منعكسات هذه الصيرورة وأصدائها،بحيث أن الكينونة ترتبط حتما بالظروف المادية لإنتاجهم" فالفكر الواعي إنما يحدد انطلاقا من الحياة المادية التي هي أساس العلاقات الاجتماعية،لهذا ينبغي الاستناد على الظروف الواقعية للعثور على جملة القوى الإنتاجية المهيمنة،وقد نجد أن يوسف ادريس كذات مثقفة قد شكلت جسدا تجريبيا للكوجيتو الهورسلي" الأنا المتعالية هي مصدر الوعي القصدي" والتي تعكس موقف ادريس من الواقع المعني إلى مواقف وشخصيات أي تذويت الموضوعات كما هي في وجوديتها،لقد أدرك ادريس حقيقة الواقع المصري كموضوع خارجي والذي حاكه في إطار متصل مع الشعور الداخلي بتوظيف معطيات انفعالية تخيلية وكذا تذكرية،تثبت أنه اقتنص حبكته السردية انطلاقا من الشعور و إدراك الماهية الحقيقية لكافة العناصر المتدخلة في الرواية كما تظهر بصورة حية،كما نجد الكوجيتو الديكارتي" أنا أفكر إذا أنا موجود" والذي شكل محرك الإبداع لدى مؤلفنا وقد كان حاضرا بطريقة واضحة من خلال إحدى شخصيات الرواية 'المأمور' "كان عليه لأول مره أن يفكر... كان لا يفكر... كان عليه أن يفكر في شيء.... كان عليه أن يفكر فيه.....لا كما اعتاد أن يفكر..... لم يتعود قلقلة الحقائق في رأسه كثيرا قبل أن يصدقها..... حباه الله عقلا ومعرفة".[29]

فنستشف أن يوسف ادريس أسقط هذه المقولة الفلسفية لديكارت لكونه مؤمنا بأن الوجود مقترن بالفكر أي بالفعل الذي يحبه ويثير اهتمامه و شغفه الفكري؛فهو بالنسبة له عبء دون توظيفه،فتمثله في شخصية المأمور الذي وان لم يكن وجوده المادي هو المحفز على التفكير بل حب الاستطلاع والفضول، قد تكون نوايا المؤلف هي إحداث خلخلة بين الفكر التقليدي المقتصر على الاستهلاك وبين التفكير النقدي؛هذا الأخير الذي ربما يسعى إلى تبنيه والذي ينفذ إلى عمق الأشياء ويحلل العناصر الظاهرة والخفية ويتطلع إلى المسكوت عنه داخل المجتمع بمختلف مكوناته.

د/الأنا والآخر في الوعي الاجتماعي السياسي ليوسف ادريس

لقد انتقد يوسف ادريس الواقعين السياسي والاجتماعي وقدمهما في قالب درامي ترميزي تنطوي تحته خلاصة تجارب إنسانية سياسية واجتماعية،بحكم تأثره بالمناخ الذي ترعرع فيه و بالظروف القاسية التي عاشها خلال حياته فضلا عن الأوضاع السياسية التي كانت تعرفها مصر في تلك المرحلة،فتأثر بكل تفاصيل أحداثها وآثارها على المجتمع المصري؛حيث عمد إلى التعبير عن كل مرحلة من هذه التقلبات البنيوية سواء ثقافية أو

نفسية أو اجتماعية وكذا سياسية،لقد كانت مرحلة تاريخية متخلفة تقوم على الإقطاع ونظام التفتيش الذي كان يسود تلك الحقبة ويطحن الفلاح ويأتي على الإنسان دون رحمة،بتناقضات المجتمع وتركيبته الطبقية وهذا الوعي الاجتماعي هو تكريس للذات من أجل إصلاح المجتمع وتجاوز الدونية والتمييز وكذا استعادة كرامة الفلاح الريفي خاصة،فقدم المؤلف كل هذه الحيثيات والتناقضات في إطار مفاهيمي صريح ومباشر:

- الطـــــــــــــــــــــــبقية:

الطبقة البرجوازية / الطبقة الهشة"تختلط الروائح من شدة دلالتها ونفاذها... يسميها الفلاحون رائحة الترحيلة وتحمل الريح الرائحة إلى العزبة وقاطنيها فتنطلق النكات... إنهم حقا نفاية بشرية"[30]

- الرشـــــــــــــــــــــوة" ذلك أنه رأى أن ينتهز الفرصة ويعد لرجال الأمن والنهي في المركز وليمة حافلة ومصالحه عندهم كثيرة... يشرف بنفسه على الديك الرومي ويتذوق الخبز الذي أعد في بيته"[31]

- الفســـــــــــــــاد"أصبحت نوازع غريبة تتحرك فيه كلما رأى بنتا أو امرأة من بنات الترحيلة بل وجد نفسه يمزح مع واحدة منهم"[32]

"مع أنه كان له علاقات قبل أن يتزوج وحتى بعد أن يتزوج"[33]

" الولد الشاب الحلو الذي طالما ضبط وهو يغمز بنت من البنات الفائرات الكبيرات اللاتي هن أحيانا يغدون للعمل في التفتيش وغمزته دائما ما كانت تكهرب البنت منهن"[34]

- العنـــــــــــــــــــــف" ينهال على الظهر المنحية فعلا بضربة من خيزرانته ضربة قاسية قاسمة"

"و لم يلبث الدق أن ينتقل إلى الأقفية والأجساد"[35]

- الاستغـــــــــــــــــــــلال "وبدا كأن الأنفار قد فرحوا كثيرا بقرار خروجهم ... على الأقل سيستريحون ولو لحظات قليلة من انحناء ظهورهم العارمة في قسوتها وحدتها... الانحناءة التي تستمر أكثر من 10 ساعات في اليوم"[36]

- التحـــــــــــــــــــــقير" أما الغرابوة أنفسهم فقد كانوا لا يقيمون وزنا كبيرا لتريقه الفلاحين أو نظرتهم"[37]

الأنا و الوعي الجماعي 7/

إن الكتابة هي عالم التعبير عن الذات فيندمج الوعي باللاوعي الذي غالبا ما يكون المحفز القوي على الإبداع"فاللاوعي لا يحتوي إلا على عناصر من الشخصية تستطيع مع ذلك أن تشكل جزءا من الوعي وهي في الحقيقة ما نحيت عنها وما قمعت إلا بالتربية"[38]،إلا أننا قد نلحظ العكس عند يوسف ادريس الذي شكل الوعي عنده الدافع الأغلب على اللاوعي والذي شكل معالمه باعتباره ذلك الشاب الذي نصب نفسه كمتمرد و ناطق باسم الجماعة،انطلاقا من وعيه بمعاناة الفلاح المصري الذي ينتمي إلى جذوره واطلاعه على خبايا النظام الظالم والمحتكر،وهناك تفاصيل عدة تشير إلى أنه انطلق من وعيه كوصفه للترعة وفضاء القرية والترحيلة...لإكساب حيوية و واقعية ومصداقية،فكانت الرواية وليدة عالمين الوعي المبادر واللاوعي المتمم،فالوعي غالبا ما يشتبك باللاوعي في التعابير وتصريحات تظهر فجأة أثناء الكتابة كانت عبارة عن خواطر كامنة،لقد اهتم المؤلف بأدق التفاصيل، فوعيه الإنساني دفعه لنقل معاناة الفلاح المصري من شتى رموز السلطة والقهر،ورصد التغيرات المتلاحقة في حياته قبل وبعد الإصلاح الزراعي في مجتمع منكسر قوانينه جائرة ونظامه هش،تعزيزا منه للقيم الإنسانية والاجتماعية ووعيا منه بجوهر الموضوع وحقيقة الطابع النفسي والعقلي والدوافع السلوكية.

8/الرمـــــــــــــــــــــزية

لم تعد تكتفي الرواية بتصوير تجربة السرد لكاتبها فقط بل تجاوزته لتوحي بمعان إنسانية نفسية اجتماعية وايديولوجية عديدة، تتباين كل ما تعمق الكاتب لمعالجة المشكلات التي تهم الإنسان وتشغل تفكيره،وقد اقترن السرد العربي بالرمز

والتحايل وقلة الاعتماد المباشر على التعبير لكشف خبايا النفس ومعاناتها وطموحاتها في تمرد ضمني على الظروف و القوانين، والرمز ظاهرة بشرية تعددت مدلولاتها بتعدد دارسيها فهو عند الجاحظ من وسائل الدلالة له قوة تأثيرية؛بحيث"يتغير بتغير الأوساط الاجتماعية والبيئات الثقافية"[39]

أما في علم النفس فهو تمثيل أو عرض المكبوت وغالبا ما يكون موضوعا جنسيا من خلال موضوعات غير جنسية تشبه المكبوت أو توحي به، والرمز لغة الحلم والأدب بها يعبران عن الرغبات العدوانية والمحرمة المكبوتة في اللاشعور،وكلاهما تعبير رمزي وتحقيق لرغبة بشكل رمزي،وبعبارة أخرى فالعمل الأدبي يترجم عن طريق الأوليات المعروفة كالنقلة والتكثيف والتميز.

*جذر البطاطا: في ظاهره يشير إلى رغبة مريض في لقمة العيش، ولكنه يرمز إلى أزمة الجنس التي يعاني منها المجتمع بمختلف طبقاته ومكوناته،بين نفوس استحلته دون حدود وضوابط وبين أخرى كبتته في داخلها وبين طرف آخر تجرأ عليه في لحظة ضعف،فقد رافق جذر البطاطا عزيزة حتى نهايتها؛حيث ظلت تردد"جذر البطاطا كان السبب يا ضنايا"على اعتبار انه كان السبب في وقوع حارس الأرض بعزيزة،هذه الأخيرة التي وان صعب تحديد اللبس في قضيتها بين ضحية الاغتصاب والتواطؤ عليه ولكن النتيجة واحدة وهي الغريزة الجنسية،كما اتخذته ذريعة لموت ابنها اللقيط فشكل رمزا للخطيئة.

*شجرة الصفصاف : إن الشجرة بصفة عامة في الرمز الديني تبعث على الشعور بالأمل،فقد مثلت رمزا للطهارة من الخطيئة وفي مواطن أخرى مثلت الإله؛فهي تشكل الملاذ الآمن للإنسان الذي يمنحه الراحة النفسية والتفاؤل،وقد كانت مركز انطلاق أحداث الرواية عند العثور على الطفل اللقيط ونقطة نهايتها،و على ما يبدو أن شجرة الصفصاف هنا تحمل بعدا سلبيا فتسمى بالصفصاف الباكي إشارة إلى النواح والبكاء الكثير،كما تشير إلى الحزن والقهر في الرواية،فلم تكن شجرة الصفصاف سوى رمزا لأحزان عزيزة وبداية مأساتها وأيضا نهاية عذابها بالموت، ثم صارت بعد ذلك رمزا تستهدفه النساء للتبرك منه من أجل الإنجاب.

*دودة القطن: ربما تكون رمزا للتحفيز على التواضع ومن الممكن أن يكون الهدف من توظيفها في الرواية هو الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى وضع الحكمة والقوة في أضعف مخلوقاته وأن الإنسان أحقر منها؛فالمأمور بصفته الحاكم الناهي يخاف من هذا المخلوق الذي يهدد نفوذه وأهل الغرابوة هم أقل منه يخلصونه منه،فالدودة كائن صغير محتقر لا يرى فيها الإنسان أي فائدة إلا الضرر بالنباتات لذلك يحاول التخلص منها إلا أنه ورغم قوته وقدرته على قتلها بسهولة فإنها قادرة على أن تفني الأشياء التي تمسها كما ترتبط بمسار الجثة بعد الموت،بيد أنها مخلوقة تعيش في التراب الذي خلق منه الإنسان وسيعود إليه،حثا على الخضوع وتذكيرا بالموت.

خلاصة

إن النص باعتباره خامة أدبية تحوي أفكارا ومعاني ظاهرة وعميقة؛تحتاج قراءة واستيعابا وفهما معمقا باعتماد منهج تحليلي تفسيري وتركيبي قد يفرضه علينا النص وقد نختاره نحن بعد قراءة متأنية تراعي خصوصيته،وتحليلنا لرواية الحرام بالمنهج النفسي ما هو إلا وقوف على بعض النقاط النفسية التي تبوح بها في

إطار علائقي مع الدوافع والحالة النفسية للمبدع،إلا أنها تفتح المجال أمام مناهج أخرى كالمنهجين التاريخي والاجتماعي بحكم ارتباطها بأحداث ووقائع ماضية وتوصيفها للسياق الاجتماعي والظروف الاقتصادية للمجتمع الريفي المصري.

الهوامـــــــــــــــــــــــــش

إسماعيل عز الدين،التفسير النفسي للأدب،ص: 15[1]

إسماعيل عز الدين،التفسير النفسي للأدب،ص: 19[2]

[3] فاليت برنار،لرواية،مدخل إلى مناهج التحليل الأدبي وتقنياته،ص:78

اليسوعي كامبل،أعلام الأدب العربي المعاصر،سير وسير ذاتية،ص: 235[4]

[5] المعجم الوسيط،ص:169/168

القرضاوي يوسف،الحلال والحرام في الإسلام،ص: 16[6]

الجوزي ابن القيم،بدائع الفوائد،ص: 1165[7]

رواية الحرام،ص: 41[8]

رواية الحرام،ص: 59[9]

رواية الحرام،ص: 41[10]

رواية الحرام،ص: 79[11]

[12] نويل جان بيلمان التحليل النفسي والأدب،تأليف وترجمة المودن حسنص:66

رواية الحرام،ص: 60[13]

رواية الحرام،ص: 60[14]

الدكتور الغباري ثائر أحمد،سيكولوجيا الشخصية،ص: 15[15]

[16] الدكتور الغباري ثائر أحمد،سيكولوجيا الشخصية،ص:15

رواية الحرام،ص: 35[17]

رواية الحرام،ص: 56[18]

رواية الحرام،ص: 60[19]

[20] محمود محمد علي،الجنون ظاهرة فلسفية،ص:10

[21] موكيالي روجيه،العقد النفسية،ص:5

موكيالي روجيه،العقد النفسية،ص: 15[22]

رواية الحرام،ص: 80[23]

موكيالي روجيه،العقد النفسية،ص: 100[24]

رواية الحرام،ص: 14[25]

رواية الحرام،ص: 15[26]

رواية الحرام،ص: 12[27]

ادريس يوسف،الإرادة،ص:35/ 37[28]

رواية الحرام،ص:20/15/ 21[29]

رواية الحرام،ص: 17[30]

رواية الحرام،ص: 28[31]

رواية الحرام،ص: 28[32]

رواية الحرام،ص: 12[33]

رواية الحرام،ص: 12[34]

رواية الحرام،ص: 16[35]

رواية الحرام،ص: 16[36]

رواية الحرام،ص: 17[37]

يونغ كارل ترجمة نبيل محسن،جدلية الأنا واللاوعي، ص: 1138

الدريدي سامية،الحجاج في الشعر العربي،ص: 236[39]